﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨﴾ [البقرة: 158]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عَلاقَةُ السَّعْي بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ بتَحويلِ القِبْلَةِ مِنْ حَيْثُ التَّرَدُّدُ والاِسْتِشْكالُ

المُنَاسَبَةُ بَيْن هذه الآية وبَيْنَ مَا قَبْلَهَا: أَنَّ العُدُولَ عَن السَّعْي بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَة، يُشْبِهُ فِعْلَ مَن عَبَّرَ عَنْهُم بالسُّفَهَاءِ، في شَأْنِ تَحْوِيلِ القِبْلَةِ، وإِنْكَارِهِمُ العُدُولَ عَن اسْتِقْبَالِ بَيْتِ المَقْدِسِ[1]، فَلَمَّا جَاءَ الحَدِيثُ في الآيَاتِ السَّابِقَةِ عَنِ القِبْلَةِ واسْتِقْلَالِ الأُمَّةِ بالتَّوَجُّهِ إِلَى الكَعْبَةِ - ثُمَّ أَعْقَبَ ذَلِكَ تَوجيهَ الأَمْرِ بالاسْتِعَانَةِ بالصَّبْرِ؛ إِشْعَارًا بِأَنَّ الأُمَّةَ سَتُوَاجِهُ مَا تُوَاجِهُهُ الأُمَمُ مِن الحُرُوبِ والقِتَالِ، ومَا يَتْبَعُهُ مِن ضِيقِ العَيْشِ - جَاءَ الحَدِيثُ في هَذِهِ الآيَةِ عَن بَعْضِ أَعْمَالِ الحَجِّ الَّتِي تَقَعُ في المَسْجِدِ الحَرَامِ، وهُوَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، فَقَد وقَعَ فِيهِمَا تَرَدُّدٌ واسْتِشْكَالٌ، فَنَاسَبَ وُرُودُهُ هُنَا بَعْدَ الحَدِيثِ عَن القِبْلَةِ، والتَّوَجُّهِ إِلَى المَسْجِدِ الحَرامِ، حَيْثُ تُقَامُ أَعْمَالُ الحَجِّ.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ﴾: الصفا والمروةُ اسم لجبلين في مكة صغيرين متقابلين، فأمَّا الصفا فرأس نهاية جبل أبي قُبَيْس، وأمَّا المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ.

فالصَّفا: مِنَ الجَذْرِ (صفو)، والأَصْلُ فيه أنه يَدُلُّ عَلَى الخُلُوصِ مِن كُلِّ شَوْبٍ، والصّفاءُ ضِدُّ الْكَدَرِ، والصّفا، الْحَجَرُ الْأَمْلَسُ، وهُوَ الصّفْوَانُ، الْوَاحِدَةُ: صَفْوَانَةٌ، تَصْفُو مِنَ الطِّينِ والرَّمْلِ[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/58-59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صفو).

والصَّفا اسْمٌ لِمَوْضِعٍ مَخْصوصٍ[1]، وهو أحد جبلي المَسْعى، ومنه يبدأ السَّعْي، ويقع في الجهة الجنوبية مائلًا إلى الشرق من الكعبة.

والْمَرْوَة: مِنَ الجَذْرِ (مرو)، وهو في الأصل يَدُلُّ عَلَى صَلَابَةٍ في شَيْءٍ، والْمَرْوَةُ، حِجَارَةٌ تَبْرُقُ[2]، ومَرْوَةُ المَسْعَى الّتي تُذكَرُ مَعَ الصَّفا، وهِيَ أَحَدُ رأْسَيْه اللّذَيْنِ ينتهِي السّعْيُ إِليهما[3].

الصّفا والمروة تجديد لتّاريخ إبراهيم وإسماعيل وهاجر

والصَّفا والمَرْوَةُ في هَذَا الْمَوْضِعِ: الجَبَلَانِ المُسَمَّيَانِ بِهَذَيْنِ الاسْمَيْنِ في الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، دُونَ سَائِرِ الصَّفَا والْمَرْوَة[4].

2) ﴿شَعَآئِرِ﴾ مِنَ الجَذْرِ (شعر)، ومَشَاعِرُ الحَجِّ: مَوَاضِعُ المَنَاسِكِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لأنّها المَعَالِمُ الظّاهِرَةُ للحَواسِّ، والشَّعِيرَةُ: واحِدَةُ الشَّعَائِرِ، وهِيَ أَعْلَامُ الْحَجِّ وأَعْمَالُهُ، قَالَ اللّهُ ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 158][5]، وشَعَائِرُ اللّه: مُتَعَبَّدَاتُهُ الَّتِي أَشْعَرَهَا، أَيْ: جَعَلَهَا أَعْلَامًا لَنَا، وهِيَ كُلُّ مَا كَانَ مِن مَشْعَرٍ، أَو مَوْقِفٍ، أَو مَسْعًى، أَو مَنْحَرٍ[6].

الشّعائر، هي أعلامُ الحجّ وأعْمالُهُ

3) ﴿حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾: أمّا (حَجَّ) فهو مِنَ الجَذْرِ (حجج)، وأصلُ الحَجِّ: القَصْدُ لِلزّيارَةِ، وكُلُّ قَصْدٍ حَجٌّ، ثُمَّ خُصَّ في تَعاريفِ الشَّرْعِ بِقَصدِ بَيتِ اللّه تَعالى، إقامةً لِلنُّسُكِ، فقيلَ: الحَجُّ والحِجُّ، فالحَجُّ مَصْدَرٌ، والحِجُّ اسْمٌ، ويَوْم الحجّ الأكبر يومُ عرفة[7]، وأمّا البيت: فهُوَ الْمَأْوَى والْمَآبُ، ومَجْمَعُ الشَّمْلِ[8]، بَاتَ: أقام باللّيل، كما يُقالُ: ظَلَّ بالنّهارِ، ثمّ يقالُ للمَسْكَنِ بَيْتٌ، مِن غيرِ اعْتِبارِ اللّيلِ فيه، ﴿فَتِلْكَ

حجّ البيت تلبيّة لنداء الله للنّاس بأداء المناسك

(1) الرّاغب، المفردات: (صفو).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مري).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (مرا)؛ الفيّوميّ، المصباح المنير: 2/570.
(4) ابن جرير، جامع البيان: 3/226.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شعر)؛ الرّاغب، المفردات: (شعر).
(6) الواحديّ، البسيط: 3/435.
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حجج)؛ الرّاغب، المفردات: (حج).
(8) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بيت).

بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النّمل: 52]، وبيتُ اللّهِ، والبَيتُ العَتِيقُ: الكعبة، قَالَ ﷺ: ﴿وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحجّ: 29]، يعني: بيتَ اللّهِ[1]، وبَيْتُ اللّهِ: المُرَادُ بِهِ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ.

والمعنى في الآية: فمن قصد المسجد الحرام لأداء نُسُك الحج.

العمرة سنّة الإسلام للوصل بالبيت الحرام على مدار العام

4) ﴿ٱعْتَمَرَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (عمر)، والاعْتِمَارُ والْعُمْرَةُ: الزِّيَارَةُ الَّتِي فِيهَا عِمَارَةُ الْوُدِّ، وجُعِلَت في الشَّرِيعَةِ لِلْقَصْدِ الْمَخْصُوصِ[2]، فَهي زِيارَةٌ لِلْمُكْثِ زَمانًا ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 196].

والمُرادُ في الآيَةِ: زِيَارَةُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ في غَيْرِ وقْتِ الْحَجِّ، أَو في وقْتِهِ بِدُونِ حُضُورِ عَرَفَة.

لا جناح عليكم بمعنى لابأس ولا إثم عليكم

5) ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (جنح)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ والْعُدْوَانِ، يُقَالُ: جَنَحَ إِلَى كَذَا، أَي: مَالَ إِلَيْهِ[3]، والْجُنَاحُ: الْإِثْمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَيْلِهِ عَن طَرِيقِ الْحَقِّ.﴿۞وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: 61]، أي: مالوا، من قولهم: جَنَحَتِ السّفينةُ، أي: مالتْ إلى أَحَدِ جانِبَيها، وسُمِّيَ الإثْم المائلُ بالإنسان عن الحقِّ جُناحًا، ثمَّ سمّي كلُّ إثمٍ جُنَاحًا[4].

والمعنى في الآية: فلا إثم عليه.

الطّواف معراج الرّوح إلى عوالم الصّفاء المفتوح

6) ﴿يَطَّوَّفَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (طوف)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى دَوَرَانِ الشَّيْءِ عَلَى الشَّيْءِ، وأَن يُحَفَّ بِهِ، يُقَالُ: طَافَ بِالْبَيْتِ يَطُوفُ طَوْفًا وطَوَافًا[5]، الطَّوْفُ: المشْيُ حولَ الشَّيْءِ، قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ﴾ [الواقعة: 17]، وقَالَ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: 158][6].

والمعنى في الآية: يسعى بين الجبلين المعروفين بالصفا والمروة قرب الكعبة.

---

(1) الرّاغب، المفردات: (بيت).
(2) الرّاغب، المفردات: (عمر).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جنح).
(4) الرّاغب، المفردات: (جنح).
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طوف).
(6) الرّاغب، المفردات: (طوف).

التّـطـوّع فتح لمجال العبادة بالاختيار

7) ﴿تَطَوَّعَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (طوع)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى الإِصْحَابِ والانْقِيَادِ، طَاعَهُ: إِذَا انْقَادَ مَعَهُ، ومَضَى لِأَمْرِهِ، تَطَوَّعَ بِهِ: انْقَادَ مَعَ خَيْرٍ أَحَبَّ أَن يَفْعَلَهُ، ولَا يُقَالُ هَذَا إِلَّا في بَابِ الخَيْرِ والبِرِّ[1]، ضِدُّ الْكُرْهِ، قال ﷻ: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصّلت: 11]، والتّطَوُّعُ: تكلُّفُ الطَّاعَةِ، وهو التّبرّع بما لا يَلْزَم كالتَّنَفُّلِ[2].

والمعنى: فعل الطاعات طَواعيةً من نفسه.

المسارعة للخير تجديدٌ للوصل بالله

8) ﴿خَيْرًا﴾: مِنَ الجَذْرِ (خير)، والأَصْلُ في الخير: الْعَطْفُ والْمَيْلُ، خِلَافُ الشَّرِّ؛ لأنّ كُلَّ أَحَدٍ يَمِيلُ إِلَيْهِ، ويَعْطِفُ عَلَى صَاحِبِهِ، ومَا يَرْغَبُ فِيهِ الْكُلُّ، كَالْعَقْلِ مَثَلاً، والْعَدْلِ، والْفَضْلِ، والشَّيْءِ النَّافِعِ[3]، ويُجْمَعُ على خَيْرات ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِۚ﴾ [البقرة: 148]، ويُطْلَقُ الخَيْرُ على المَالِ[4]، عِندَما يكون كثيرًا[5].

الشّكر ضدّ الكفر

9) ﴿شَاكِرٌ﴾: مِنَ الجَذْرِ (شكر)، وهو في الأَصْلِ الرِّضَا بِالْيَسِيرِ[6]، وهو عِرفانُ الإحسانِ لصاحبه ونَشْرُه، وإظهارُهُ؛ والثّناءُ عَلَى المُحْسِنِ بِمَا أَوْلاكَهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ[7]، ويضادّهُ الكُفْرُ، وهو: نِسيانُ النِّعْمَة وسَتْرُها، وإذا وُصف اللّه بالشّكر، كما في قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التّغابن: 17]، فَإِنَّمَا يُعْنَى بِهِ إِنْعَامُهُ عَلَى عِبَادِهِ، وجَزَاؤُهُ بِمَا أَقَامُوهُ مِن الْعِبَادَةِ[8]، فالشَّاكِرُ في وَصْفِهِ مَعْنَاهُ: مُجَازٍ عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا[9].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طوع).
(2) الرَّاغب، المفردات: (طوع).
(3) الرَّاغب، المفردات: (خير).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة، جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (خير).
(5) الرَّاغب، المفردات: (خير).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شكر)؛ جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(7) ابن منظور، لسان العرب: (شكر)؛ جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(8) الرَّاغب، المفردات: (شكر).
(9) النَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/146.

10) ﴿عَلِيمٌ﴾: مِنَ الجَذْرِ (علم)، والأَصْلُ فيه أن يَدُلَّ عَلَى: أَثَرٍ بالشَّيْءِ، يَتَمَيَّزُ بِهِ عَن غَيْرِهِ[1]، واستُعمِل اللّفظُ في كلّ ما يَدُلّ على شيءٍ ما، والعِلْم: الاعْتِقادُ الجازِمُ الثَّابِتُ المُطابِقُ للواقِع، أَو هُوَ صِفَةٌ توجِبُ تَمْييزًا لَا يحتَمِلُ النّقيضَ[2]، والْعَالِمُ في وصْفِ اللَّه: هُوَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وذَلِكَ لَا يَصِحُّ إِلَّا في وصْفِهِ تَعَالَى[3].

اللـه عليـمٌ بالـظّـواهـر والبواطن

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

"كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَطُوفُونَ، أي: يسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، ويمسَحُونهمَا، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وكُسِرَت الْأَصْنَامُ، كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا؛ لِأَجَلِ الصَّنَمَيْنِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ، مُنَبِّهًا لَهُم عَلَى أَنَّ الطَّوَافَ بِالصَّفَا والمَرْوَةِ لَا تَبِعَةَ فِيهِ عَلَيْهِمْ، وأَنَّهُ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى"[4]، وقد أَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرُهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ السَّعْيَ بَيْنَهُمَا مِن مَشَاعِرِ الْحَجِّ الَّتِي سَنَّهَا لَهُمْ، فَالصَّفَا والمَرْوَةُ من مَعَالِمِ دِينِ اللَّهِ الظَّاهِرَةِ، حيث تَعَبَّدَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِالسَّعْيِ بَيْنَهُمَا، فَمَن قَصَدَ الْكَعْبَةَ حَاجًّا، أَو مُعْتَمِرًا، فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ولَا حَرَجَ في أَن يَسْعَى بَيْنَهُمَا، بَل يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ومَن فَعَلَ الطَّاعَاتِ طَوَاعِيَةً من نَفْسِهِ، مُخْلِصًا بِهَا لِلَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَاكِرٌ يُثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ، عَلِيمٌ بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ، فَلَا يَبْخَسُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ[5].

إنّ الصّفـــا والـــمَـروَةَ مِـنْ شَـعـائِـرِ الـلـهِ الـمُـعَـظَّـمَـةِ الَّتِي سَنَّهَا اللهُ لعِبادِهِ في الحَجِّ لَا إِثْم عَلَى الحاجِّ والـمُـعْـتَـمِر أن يَسْعَى بَيْنَهُمَا، بَل يَجِبُ عَلَيْهِ ذَلِك

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

دَلالَةُ الاسْتِئْنافِ وتَأْكِيدِ الخَبَرِ في الآيَة:

جَاءَت الآيَةُ من قَولِهِ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾، مُسْتَأْنَفَةً مَفْصُولَةً عَن سَابِقَتِهَا، وجَاءَ الْخَبَرُ مُؤَكَّدًا بِإِنَّ وبِالْجُمْلَةِ

مُعالَجَةُ التَّرَدُّدِ بِيَقِينِ الحُكْمِ الفاصِل

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (علم).
(2) الزَّبيديُّ، تاج العروس: (علم).
(3) الرَّاغب، المفردات: (علم).
(4) الواحديّ، البسيط: 3/439-440.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 3/227-228، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 24.

الاسْمِيَّةِ في هذه الآية؛ لِمَا وقَعَ فِيهِمَا مِن التَّرَدُّدِ؛ فَأَكَّدَ الْجُمْلَةَ بـ (إِنَّ)؛ لِأَنَّ الْمُخَاطَبِينَ مُتَرَدِّدُونَ في كَوْنِهِمَا مِن شَعَائِرِ اللَّهِ تَعَالى؛ لِأَنَّهُم رَأَوْا أَنَّهُمَا مِن أَعْمَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَجَاءَ التَّأْكِيدُ لِإِزَالَةِ ذَلِكَ الظَّنِّ[1].

توجِيهُ المَخْصُوصِ بالذِّكرِ:

الصَّفا والـمَرْوَةُ ارتباطٌ بالابتلاءِ الـذي عـرَضَ لإسماعيلَ عليه السلام

خصَّتِ الآيةُ الصَّفَا والمَرْوَةَ بالذِّكرِ، دون بقيَّةِ الشَّعائرِ؛ ذلكَ أنَّ الصَّفا والمروةَ تُمثِّلانِ وتُذكِّرانِ بحَدَثٍ تاريخيٍّ إسلاميٍّ، وهو ما حَصَلَ لهاجر مع إسماعيلَ عليه السلام، فقد تعرَّضت هي وابنُها للخوْفِ والجوعِ وفَقْدِ الماءِ والاقترابِ من دائرةِ الخَطرِ وهي الموتُ في تلك الأرضِ التي لا زَرْعَ فيها، فكان ذكرُ هاتين الشَّعيرَتَيْن من دواعي تذكُّرِ تلك الحادثةِ، لاسيَّما بعد آياتِ الابتلاءِ والحثِّ على الصَّبْرِ، فهي إرشادٌ للصَّبرِ على الابتلاءِ، والقيامِ بالعبادةِ على وجهِها المطلوبِ شرعًا، "فَقَدْ كَانَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ مِنْ أَعْمَالِ الْحَجِّ مِنْ زَمَنِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام تَذْكِيرًا بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى هَاجَرَ وَابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَطَشِ"[2].

سِرُّ تقديمِ الصَّفا على المروةِ:

الإشـــارَةُ إلى الإعـــجـــازِ التَّاريخيِّ

قُدِّمتِ الصَّفا على المروةِ للإشارةِ إلى أنَّ بدايةَ سَعْيِ هاجر عليها السَّلامُ من الصَّفا، ففيه إعجازٌ تاريخيٌّ، فقد جاء في البخاريِّ: «جَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّى إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى، - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ -، فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِيَ تَنْظُرُ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الوَادِيَ رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ

(1) الرّوينيّ، من غريب بلاغة القرآن الكريم، ص: 483.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/59.

الإِنْسَانِ المَجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتِ الوَادِيَ، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَنَظَرَتْ هَلْ تَرَى أَحَدًا فَلَمْ تَرَ أَحَدًا» ... الحديث"[1].

تشريفُ الشّعائِرِ بإضافتِها للفظِ الجلالةِ:

إِضَافَةُ الشَّعَائِرِ - الَّتِي يُقْصَدُ بِهَا الْحَجُّ والْعُمْرَةُ - إِلَى لفْظِ الجلالّة؛ في قوله: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، لِأَنَّهُمَا من الْعَلَامَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى عِبَادَتِه، أَو لِأَنَّهُ جَعَلَهُمَا كَذَلِكَ، وهَذَا تَشْرِيفٌ لِهَذِهِ الشَّعَائِرِ والْأَعْمَالِ، ولَم يَقُلْ: (من الشَّعَائِرِ)؛ لِأَنَّ التَّشْرِيفَ لَن يَكُونَ ظاهرًا في صِيغَةِ التَّعْرِيفِ بِالْأَلِفِ واللَّام[2] كما هو في النَّظمِ الكريم.

الإيجازُ بالحَذْفِ في قَوْلِهِ: ﴿مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾:

في الآيَةِ إِيجَازٌ بالحَذْف؛ فَحَذَفَ المُضَافَ، وأَقَامَ المضاف إِلَيْهِ مقَامَهُ؛ لِأَنَّ الدِّينَ مُتَعَلِّقٌ باللَّهِ تَعَالَى، فَمَا كَانَ لِلدِّينِ فَهُوَ لَهُ، "وَلَيْسَ الْجَبَلَانِ لِذَاتِهِمَا من شَعَائِرِ اللَّهِ، بَل ذَلِكَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ، أَي: إِنَّ طَوَافَ الصَّفَا والْمَرْوَةِ"[3]، أو يكونُ التقدير: (من شَعَائِرِ دِينِ اللَّهِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ)، حُذِفَ من الْآيَةِ لَفْظُ الدِّينِ[4].

مُناسَبَةُ ذِكْرِ الحَجِّ والعُمْرَةِ بعدَ ذكرِ الصَّفَا والْمَرْوَةِ:

"وَلَمَّا كَانَ الطَّوَافُ بَيْنَهُمَا لَيْسَ عِبَادَةً مُسْتَقِلَّةً، إِنَّمَا يَكُونُ عِبَادَةً، إِذَا كَانَ بَعْضَ حَجٍّ أَو عُمْرَةٍ، بَيَّنَ تَعَالَى ذَلِكَ بِقوله: فَمَن حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ"[5].

دَلالَةُ الفاءِ التّفْرِيعِيَّةِ في قوله: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾:

التَّفْرِيعُ تَوْلِيدُ مَعانٍ جَدِيدَةٍ، اعْتِمادًا على مَعانٍ سابِقَةٍ

الْفَاءُ تَفْرِيعِيَّةٌ، وهِيَ: فَاءُ الاسْتِئْنَافِ؛ وإِنَّمَا يُقَال لَهَا تَفْرِيعِيَّةً؛ لِمَا فِيهَا من فَائِدَةِ التَّفْصِيلِ، فَهِيَ تَفْصِيلُ مَا قَبْلَهَا من كَلَامٍ مُجْمَلٍ، أَو أَنَّ مَا قَبْلَهَا مُسَبِّبٌ لِمَا بَعْدَهَا مَعْنَوِيًّا؛ لِأَنَّ التَّفْرِيعَ يَعْنِي: تَوْلِيدَ مَعَانٍ جَدِيدَةٍ اعْتِمَادًا عَلَى مَعَانٍ سَابِقَةٍ، والرّابط بَيْنَ المَعْنَيَيْنِ، هو الفَاءُ

(1) البخاريّ، صحيح البخاريّ، حديث رقم: (3364).
(2) الدّبل، دليل البلاغة: 1/220.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/65.
(4) محمد علي جميل، الإبداع البيانّي في القرآن، ص: 34.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/65.

التَّفْرِيعيَّةُ[1]، فقولُهُ ﷻ: ﴿فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾، تفريعٌ على كونِهما من شَعَائِرِ اللَّهِ، وأنَّ السَّعْيَ بَيْنَهما في الحجِّ والعُمْرَةِ من المناسِكِ[2].

إشرابُ الاسمِ الموصولِ معنى الشَّرطِ:

عَبَّرَتِ الآيةُ بلفظ (مَنْ) دون الاسم الموصولِ الظَّاهرِ، لإشرابه معنى الشَّرطِ، وهو نفي الجناحِ عمَّن يريدُ الحجَّ والعمرةَ، أي: فمن نوى الحجَّ فعليه الطَّوافُ.

الفَرْقُ بَيْنَ لَفْظِ (الحج)، وقَوْلِهِ: ﴿حَجَّ ٱلْبَيْتَ﴾:

مَـقـامُ البَـيـانِ والإطْـنـابِ، يَـقْـتَـضِي زِيـادَةَ المَبْنى لِزِيادَةِ المَعْنى

الْحَجُّ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَدُلُّ عَلَى قَصْدِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ الَّذِي بِمَكَّةَ؛ لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، بِالطَّوَافِ وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ وَالْإِحْرَامِ، فَهُوَ جِنْسٌ بِالْغَلَبَةِ كَالْعَلَمِ بِالْغَلَبَةِ؛ فَلَا يَحْتَاجُ إِضَافَتُهُ إِلَى الْبَيْتِ؛ وَلِذَلِكَ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مَقْطُوعًا عَنِ الْإِضَافَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾ [البقرة: 197]، وَلَكِنْ يُضَافُ إِلَى الْبَيْتِ فِي مَقَامِ الِاعْتِنَاءِ وَالِاهْتِمَامِ، كَقَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: 97]؛ لِأَنَّهُ مَقَامُ ابْتِدَاءِ تَشْرِيعٍ، فَهُوَ مَقَامُ بَيَانٍ وَإِطْنَابٍ، أَمَّا الْفِعْلُ (حَجَّ) بِمَعْنَى قَصَدَ، فقد بَقِيَ عَلَى إِطْلَاقِهِ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ؛ فَلِذَلِكَ كَانَ ذِكْرُ الْمَفْعُولِ لِزِيَادَةِ الْبَيَانِ[3].

دَلالَةُ حَذْفِ المَفْعولِ بِهِ في: ﴿ٱعْتَمَرَ﴾:

تَقْدِيرُ الْكَلَامِ (اعْتَمَرَ الْبَيْتَ)، فَحُذِفَ الْبَيْتُ اكتفاءً؛ لِأَنَّ دَلَالَةَ ﴿ٱعْتَمَرَ﴾، تَدُلُّ بِالْغَلَبَةِ عَلَى زِيَارَةِ الْبَيْتِ، فَتَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْبَيْتِ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ.

الفرقُ بينَ نَفْيِ الجِنْسِ ونَفْيِ الوحدةِ:

نَـفْـيُ الـجِـنـسِ نَـــصٌّ في الاسـتـغـراقِ، وهو أبلغُ في رَفْعِ الحَرَجِ

النَّفْيُ بلفظ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ يُفِيدُ التَّنْصِيصَ عَلَى اسْتِغْرَاقِ نَفْيِ الْجِنْسِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الِاحْتِمَالِ - فـ "لَمَّا قُصِدَ بِهَا التَّنْصِيصُ

(1) التَّفْرِيع: جعل شيءٍ عَقِيب شيءٍ؛ لاحتياج اللاّحق إلى السّابق، الجرجانّي، التّعريفات، ص: 63، وقد يكون تَفْرِيع السَّبَب على المُسَبّب، وتفريع اللاّزم على المَلْزُوم أَيْضًا، ينظر: الكَفويّ، الكلّيّات، ص: 676.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/61.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/61-62.

عَلَى الْعُمُوم، اخْتَصَّتْ بِالِاسْم -لِأَنَّ قَصْدَ الِاسْتِغْرَاقِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْصِيصِ يَسْتَلْزِمُ وُجُودَ (مِنْ)، لَفْظًا أَو مَعْنًى، ولَا يَلِيقُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْأَسْمَاءِ النَّكِرَات، فَوَجَبَ لـ (لَا) -عِنْدَ ذَلِكَ الْقَصْدِ - عَمَلٌ فِيمَا يَلِيهَا، فَإِن قُلْتَ: فَلِمَ عَمِلَت عَمَلَ إِنَّ؟ قُلْتُ: لِمُشَابَهَتِهَا لَهَا في التَّوْكِيدِ؛ فَإِنَّ (لَا) لِتَوْكِيدِ النَّفْيِ، و(إِنَّ) لِتَوْكِيدِ الْإِثْبَاتِ"[1]، والنَّفْيُ الْمُؤَكَّدُ مِمَّا يُنَاسِبُ التَّرَدُّدَ الَّذِي حَصَلَ في أَمْرِ الصَّفَا والْمَرْوَة.

وَنَفْيُ الْجِنْسِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَهُ عَن جَمِيعِ أَفْرَادِهِ، فَقَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾، نَصٌّ عَلَى انْتِفَاءِ جِنْسِ الْإِثْمِ، ولَا يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الِاحْتِمَالُ، كَاحْتِمَالِ أَن يُرَادَ بِهِ الْإِثْمُ الْكَبِيرُ دُونَ الصَّغِيرِ، فَنَفْيُ الِاحْتِمَالِ يَشْمَلُ جَمِيعَ صُوَرِ الْإِثْمِ، ولَو قَالَ: (فَلَا جُنَاحٌ عَلَيْهِ)؛ فَإِنَّهُ يَحْتَمِلُ أَن يُرِيدُ شُمُولَ الْإِثْمِ كُلِّهِ، أَو أَن يريدَ الْإِثْمَ الْوَاحِدَ، فَلَن يَكُونَ نَصًّا في نَفْيِ الْجِنْسِ.

تَعْيينُ غَرَضِ النَّفي يُعْلَمُ بالسِّياقِ.

تَـصْـحـيـحُ الـمَـفـاهـيـمِ ضَـرورَةٌ لتَرْسِيَةِ التّشْريعِ الفِقْهِيّ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ "لَيْسَ الْمَقْصدُ مِنْهُ إِبَاحَةَ الطَّوَافِ لِمَن شَاءَ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ بَعْدَ الْأَمْرِ لَا يَسْتَقِيمُ، وإِنَّمَا الْمَقْصدُ مِنْهُ رَفْعُ مَا وقَعَ في نُفُوسِ قَوْمٍ مِن الْعَرَبِ، مِن أَنَّ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا فِيهِ حَرَجٌ، وإِعْلَامُهُم أَنَّ مَا وقَعَ في نُفُوسِهِم غَيْرُ صَوَاب"[2].

فَإِن قُلْتَ: كَيْفَ قِيلَ: إِنَّهُمَا مِن شَعَائِرِ اللَّهِ، ثُمَّ قِيلَ: لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا؟ فالجَوابُ: أَنَّ ذلك لِمَا وقَعَ فِيهِمَا مِن حَرَجٍ؛ لِكَوْنِهِمَا صَنَمَيْنِ مِن أَصْنَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَرَفَعَ الْحَرَجَ والْجُنَاح[3].

تَثْقِيلُ اللَّفْظِ لبَيانِ ثِقَلِ العَمَلِ لا ثِقَلِ المُعتَقَدِ:

عـلـى قَـدْرِ الـمَـشَـقَّـةِ يَـكـونُ الأَجْرُ

قَالَ سُبْحَانَه: ﴿يَطَّوَّفَ﴾ ولم يَقُل: (يَطُوفَ)؛ لِإِظْهَارِ الشِّدَّةِ في هَذَا الطَّوَافِ، فَالطَّوَّافُ أَو السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ، لَيْسَ يَسِيرًا،

(1) المراديّ، الجنى الدّاني، ص: 292-291.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/229.
(3) الطّيبيّ، فتُوح الغَيب: 3/170.

بَل هُوَ مِمَّا يَتَطَلَّبُ جُهدًا، فَإيثَارُ الْفِعْلِ ﴿يَطَّوَّفَ﴾ عَلَى (يَطُوفَ)؛ لإظْهَارِ هَذَا الْجُهْدِ، و﴿يَطَّوَّفَ﴾ أَصْلُهُ (يَتَطَوَّفُ)، فَأُدْغِمَ التَّاءَ في الطَّاءِ[1]، وهَذَا الْإِدْغَامُ أَعْطَى ثِقَلاً لِلَّفْظِ، وهَذَا الثِّقَلُ يُنَاسِبُ شِدَّةَ الْفِعْلِ وصُعُوبَتَهُ، وكذلك فِيه إِشَارَةٌ إلى أَنَّ الثِّقَلَ يجبُ أَنْ يكونَ في العملِ البَدَنيِّ لا في النَّفسِ.

دَلالَةُ قِراءَةِ ﴿وَمَن تَطَوَّعَ﴾ وقِراءَةِ ﴿يَطَّوَّعْ﴾:

تَوْجيهُ القِراءَةِ القُرآنِيَةِ للمَعْنى، تَجْلِيَةٌ لِلإعْجازِ اللُّغَوِيِّ والبَيانِيِّ

قَرَأَ حَمْزَة والْكِسَائِي ويَعْقُوب: ﴿يَطَّوَّعْ﴾، وأَصْلُهُ (يَتَطَوَّع) فَأُدْغِمَ، مِثْل يَطَّوَّف[2]، جاء في تفسير الطّبريّ: "اختَلفَ القرّاءُ في قراءةِ ذلك، فقرأَتْهُ عامّةُ قُرّاءِ أهلِ المَدينَةِ والبصْرةِ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾، على لَفظ المُضِيّ؛ بالتّاءِ وفتحِ العينِ، وقرَأَتْه عامّةُ قُرّاءِ الكوفِيّين: ﴿وَمَن يَطَّوَّعْ خَيْرًا﴾؛ بالياءِ وجَزمِ العَيْنِ وتشديدِ الطّاء، بمعْنَى: (ومَنْ يَتَطَوّعْ)، وذُكر أنّها في قراءة عبد الله: (ومَن يَتَطَوَّعْ)، فقرأ ذلك قُرّاء أهل الكوفةِ على ما وصَفْنا، اعتبارًا بالّذي ذَكَرْنا من قِراءَةِ عبد اللّهِ -سوى عَاصِمٍ، فإنّه وافق المدنيّين- فشدّدُوا الطّاءَ، طلبًا لإدغام التّاء في الطّاء، وكلتا القراءَتَيْنِ مَعْروفَةٌ صَحيحَةٌ، مُتَّفِقٌ مَعنَياهُما غيرُ مُخْتَلفَين؛ لأنّ الماضيَ منَ الفعلِ، مع حُروف الجزاءِ، بمعنى المستَقْبَلِ، فبأَيّ القراءَتَين قَرأ ذلكَ قارئٌ، فمُصيبٌ"[3].

وَهَذِهِ الْقِرَاءَةُ تُظْهِرُ تَوَافُقًا في البِنْيَةِ الصَّوْتِيَّةِ بَيْنَ الفِعْلَيْنِ، ولَا سِيَّمَا أَنَّهُمَا مُتَّفِقَانِ في الصَّوْتَيْنِ الْأَوَّلِ والثَّاني: (طَافَ، طَاعَ)، وهِيَ تُنَاسِبُ الشِّدَّةَ والتَّكَلُّفَ في التَّطَوُّعِ، فَالتَّثْقِيلُ يُنَاسِبُ الْأَفْعَالَ الَّتِي فِيهَا صُعُوبَةٌ، وثِقَلٌ عَلَى النَّفْسِ والْبَدَنِ، والمَطْلوبُ هنا البَدَنُ دونَ النَّفْسِ.

دَلالَةُ (الفاءِ) عَلى يَقينِ تَحَقُّقِ الجَزاءِ عَلى التَّطَوُّعِ:

"هَذِهِ الْفَاءُ إِذَا دَخَلَت في خَبَرِ الْمَوْصُولِ أَو النَّكِرَةِ الْمَوْصُوفَةِ، أَفَادَتْ أَنَّ الثَّانيَ إِنَّمَا وجَبَ

(1) النَّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/145.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/115.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 3/247.

لِوُجُوبِ الْأَوَّلِ"[1]، وهَذَا يَعْنِي أَنَّ تَطَوُّعَ الْعِبَادِ يُقَابِلُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَزَاءِ الْمُحَقَّقِ عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ، وهو معنًى مستفادٌ من سِياقِ الكَلامِ.

تعليلُ الشَّرطِ بأَسْمَاءِ الله الحُسْنَى:

شُكْرُ اللهِ لِعبادِه لُطْفٌ ومِنَّةٌ

شُكْرُ اللهِ للعَبدِ إمّا بالثّوابِ، وإمّا بالثّناءِ عَليهِ، قال أبو السُّعود: "﴿شَاكِرٌ﴾: مُجازٍ على الطّاعَة، عبّر على ذلكَ بالشُّكْرِ، مُبالَغةً في الإحسانِ إلى العِبادِ، و﴿عَلِيمٌ﴾: مُبالِغٌ في العِلمِ بالأشْياءِ، فيَعْلَمُ مَقاديرَ أَعْمالِهِمْ وكَيْفيّاتِها، فلا يَنْقُصُ منْ أجُورِهِمْ شَيْئًا، وهو عِلَّةٌ لِجَوابِ الشَّرْطِ، قائِمٌ مَقامَهُ، كَأنَّه قيلَ: (ومَنْ تَطوَّعَ خَيرًا جازاهُ اللّهُ وأثابَهُ، فإنَّ اللّه شاكِرٌ عَليمٌ)"[2]، وهذا من بليغِ الوَعْدِ على المُجازاةِ.

تَوْجِيهُ المُتشابِهِ اللَّفظيِّ في آياتِ الأحكامِ:

أثـرُ الـنَّـظـمِ في إظْـهـارِ العُـمـومِ والـخُـصُـوصِ التَّشريعيِّ

صُدِّرَتِ الآيَةُ بِلَفْظٍ من أَلْفَاظِ الْعُمُومِ، وهُوَ (مَنْ)، وجَاءَ فِيهَا لَفْظُ الخَيْرِ بِصِيغَةِ التَّنْكِيرِ المُفِيدَةِ لِلعُمُومِ والشُّمُولِ؛ فَالْجُمْلَةُ تَحُثُّ عَلى فِعْلِ الْخَيْرِ عَامَّةً، ولَيْسَ الْمَقْصُودُ خُصوصَ عِبَادَةِ السَّعْيِ بَيْنَ الصَّفَا والمَرْوَةِ؛ فَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾، ولَوقَالَ: (فَمَن تَطَوَّعَ الخَيْرَ)، لَكَانَ الْمُرَادُ خُصُوصَ هَذَا الْفِعْلِ؛ لِأَنَّ الْفَاءَ تَعْنِي السَّبَبِيَّةَ، وإن كَانَت تُؤَدِّي الاسْتِئْنَافَ والتَّفْرِيعَ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: فمَنْ تطَوَّعَ في السَّعْيِ، والمُرادُ التَّطوُّعُ الأعمُّ من ذلك؛ فَاسْتُعْمِلَت الْوَاوَ بَدَلَ الْفَاءِ لِذَلِكَ.

ولو نَظرْنا في استِعمالِ الْفَاءِ مَعَ الْفِعْلِ ﴿تَطَوَّعَ﴾ في آيةِ الصِّيَامَ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: 184]؛ لَعَلِمنا أَنَّهُ أَرَادَ بَيَانَ أَنَّ الصَّوْمَ مَعَ وُجُودِ الرُّخْصَةِ في الْفِطْرِ، أَفْضَلُ من

(1) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 4/138

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/181.

تَرْكِهِ، أَو أَنَّ الزِّيَادَةَ عَلَى إِطْعَامِ مِسْكِينٍ أَفْضَلُ مِن الاقْتِصَارِ عَلَيْهِ[1]، فَهِيَ تَتَكَلَّمُ عَن خُصُوصِيَّةٍ في عِبادَةِ الصَّوْمِ، فافترقَ المعنى عمومًا وخُصوصًا بافتراقِ الحرفِ المُسْتعملِ.

إِيثَارُ اسْتِعمالِ الْفِعْلِ ﴿تَطَوَّعَ﴾:

مَنْ تَطَوَّعَ، تَلْبِيَةً لأَمْـرِ اللـهِ فيما شَرَعَ، نال الأَجْرَ الأَوْفى

اسْتعملتِ الآيةُ فعلَ التَّطوعِ دونَ بقيَّةِ الأفعالِ، من مثل: عَمِلَ، أو فَعَلَ، أو غيرِها، فإنَّ لفْظَ (عَمِلَ) مثلًا لَا يَدُلُّ عَلَى التَّزَيُّدِ من الْفِعْلِ، فلَو قَالَ: (وَمن عَمِلَ خَيْرًا)، لَكَانَ شَامِلاً لِكُلِّ عَمَلٍ يَتَّصِفُ بِالْخَيْرِ واجبًا أو نافلةً، كثيرًا أو قليلًا، والآيةُ تريدُ الحَثَّ على الفِعْلِ الزَّائدِ على المَطلوبِ شرْعًا، وهو الذي يَأتي به العبْدُ من تِلقاءِ نفسِه، ويدخُلُ في ذلك السَّعيُ بين الصَّفا والمروةِ دُخولًا أوليًّا، والأنسبُ في ذلك اسْتِعمالُ فعلِ التَّطوُّعِ.

دَلَالَةُ التَّنْكِيرِ في قولِه: ﴿خَيْرًا﴾ العُمُومُ:

أَفَادَ التَّنْكِيرُ في قولِه: ﴿خَيْرًا﴾ الشُّمُولَ والعُمومَ؛ لِيَكُونَ التَّطَوُّعُ بِالْكَثِيرِ والْقَلِيلِ، دَاخِلًا ضِمْنَ حُكْمِ الْآيَةِ، فَمَهْمَا كَانَ الْمُتَطَوَّعُ بِهِ قَلِيلًا، فَإِنَّ جَزَاءَهُ الشُّكْرُ مِنَ اللَّهِ تَعالى.

أَوْجُهُ التَّأْوِيلِ الإِعْرابِيِّ ثَراءٌ للمَعْنى السياقي:

نصبُ ﴿خَيْرًا﴾: إمّا على أَنَّهُ صِفَةُ مَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، والتَّقْدِيرُ: مَن تَطَوَّعَ تَطَوُّعًا خَيْرًا، أو أنّهُ نُصِبَ: بِحَذْفِ الْجَارِّ وإِيصَالِ الْفِعْلِ إِلَيْهِ، أَو بِتَعْدِيَةِ الْفِعْلِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى (أَتَى) أَو (فَعَل)[2]، وآثرَ النَّظمُ ما جَاءَ عَلَيْه لبيانِ أَنَّ التَّطوُّع يجبُ أن يبدأَ خيرًا وينتهي خيرًا، ولذلك تسلَّطَ الفعلُ عليْه.

دَفْعُ وَهْمِ عَدَمِ شُكْرِ الأَعْمَالِ التَّطوّعيَّةِ

فائِدَةُ تَأْكِيدِ الخَبَرِ في قولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾:

بَدَأَت الْجُمْلَةُ بِتَأْكِيدِ الْخَبَرِ؛ لتأكيدِ الشُّكْرِ على التَّطوُّعِ، فإنَّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/64.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/155.

الأعمالَ التَّطوعيَّةَ لا يُرجى من ورائِها الأجرُ في الدُّنيا، فكانَ تأكيدُ الأجرِ الأُخرويِّ لدَفْعِ مَظنَّةِ أنْ لا أجرَ على التَّطوّعِ، وهذا من بديعِ الخطابِ في تلبيةِ احتياجاتِ النَّفسِ للطمأنينةِ.

بلاغةُ إظْهارِ الاسْمِ الأحْسَنِ في قولِه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾:

لـمَّا سَبَقَ ذِكْرُ لَفْظِ الْجَلَالَةِ في قَوْلِه ﷻ: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، فقد يظنُّ ظانٌّ أنَّ الْمُنَاسِبَ الْإِضْمَارُ؛ فَيَقُولَ: (فَإِنَّهُ شَاكِرٌ عَلِيمٌ)، وما جَاءَ عليه النَّظمُ الكريمُ هو المُناسِبُ واللَّائقُ بالبلاغةِ؛ ذلك أنَّه جاءَ مُظهِرًا لتَعْظِيمِ الصِّفَاتِ الَّتِي سِيقَت بَعْدَهُ المبنيَّةِ عليه، وفيه تعظيمُ الأجرِ الجزيلِ.

بلاغةُ إيرَادِ الأسمَاءِ الحُسنى اختيارًا وترتيبًا:

"وقَعَتِ الصِّفَتَانِ هُنَا الْمَوْقِعَ الْحَسَنَ، لِأَنَّ التَّطَوُّعَ بِالْخَيْرِ، يَتَضَمَّنُ الْفِعْلَ والْقَصْدَ، فَنَاسَبَ ذِكْرَ الشُّكْرِ بِاعْتِبَارِ الْفِعْلِ، وذِكْرَ الْعِلْمِ بِاعْتِبَارِ الْقَصْدِ"[1]، وقُدِّمَتْ صِفَةُ الشُّكْرِ عَلَى صِفةِ الْعِلْمِ، من بابِ تقديمِ النَّتيجةِ على العِلَّةِ، فَهُوَ يَشْكُرُ أَعْمَالَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ.

التَّنبيهُ على القَصْدِ والفِعْلِ، وتقديمُ النتائجِ على العِلَلِ

دَلالَةُ كَسْرِ النَّسَقِ في الفاصِلَةِ:

الْآيَاتُ السَّابِقَةُ كَانَت تُخْتَمُ بِالْوَاوِ والنُّونِ، وهَذِهِ الْآيَةُ خَرَجَت عَن هَذا النّسق، فَكَسَرَتْه؛ ويُكْسَرُ النَّسَقُ في الْفَاصِلَةِ لِلتَّنْوِيعِ، مِمَّا يُعْطِي جَمَالِيَّةً لِلصَّوْتِ الَّذِي تُخْتَتَمُ بِهِ الْآيَاتُ، فَكُلُّ آيَةٍ لَهَا خَاتِمَةٌ صَوْتِيَّةٌ، فَعِنْدَمَا تَتَوَالَى الْخَوَاتِيمُ مُتَوَافِقَةً، فَإِنَّ هَذَا نَسَقٌ مُتَلَائِمٌ يُعْطِي انْسِيَابِيَّةً في الصَّوْتِ، وفي أُذُنِ الْمُتَلَقِّي، مَعَ مَا فِيهِ من جَمَالِيَّةٍ، ثُمَّ تَأْتِي آيَةٌ خِلَالَ ذَلِكَ النَّسَقِ مُبَايِنَةٌ، فَتَكْسِرُ هَذَا النَّسَقَ، وعليه فَإِنَّ ذَلِكَ يُثِيرُ انْتِبَاهَ الْأُذُنِ، وهَذَا تَنْوِيعٌ في الْخَاتِمَةِ الصَّوْتِيَّةِ، يَدْفَعُ الْمَلَلَ والسَّآمَةَ، من الرَّتَابَةِ الصَّوْتِيَّةِ الْمُتَكَرِّرَةِ بِنَسَقٍ واحِدٍ.

الإعْجازُ الصَّوْتِيُّ في القُرْآنِ، تَواؤُمٌ في الإيقاعِ، ومُتْعَةٌ في الاسْتِماعِ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/68.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»